اللغة العربية في الصين: تاريخها وتأثيراتها في اللغة الصينية

جينغ رونغ
ZHENG RONG

ملخص: يذهب كثير من المؤرخين العرب والصينيين إلى أن التواصل العربي الصيني يرجع إلى زمن بعيد، وهذا التواصل لا يمكن فصله عن اللغة العربية لأن اللغة هي أداة ضرورية للتواصل بين مختلف الشعوب. دخلت اللغة العربية الصين مع دخول الإسلام إليها.ومعروف أن كثيرا من المسلمين يتعلمون اللغة العربية منذ نعومة أظفارهم، ويقرأون القرآن الكريم باللغة العربية، وإن الويغور والقازاق وغيرهما من الأقليات التي تنطق لغات الترك، ظلت تكتب لغاتها بالأبجدية العربية، وتبنت عددا كبيرا من المفردات العربية، بينما اتخذت اللغة العربية هي الأخرى عددا من المفردات من لغات الترك. وقد بدأت الأبجدية العربية تحل محل الأبجدية الويغورية الكلاسيكية في زمن الدولة القرخانية، كما أن اللغة العربية كانت لغة متداولة في كاشغر. فاللغة العربية ما تركت آثارا كبيرا في اللغة الصينية فحسب، بل أبقت تأثيرات في الثقافة الصينية وخاصة ثقافة هوي هوي (المسلمين الصينيين). ويمكن أن نجد هذه الآثار في علم الفلك والرياضيات والطب والصيدلة وطريقة تكرير السكر والفنون الخ.

يهدف هذا البحث إلى إيضاح تأثيرات اللغة العربية في اللغة الصينية اعتمادا على تاريخ انتشار اللغة العربية في الصين، بل يتواصل البحث إلى دراسة تأثيرات اللغة العربية في الثقافة الصينية لكي فهم كيفية تشكل قومية هوي هوي في الصين وكيفية استقبال الشعب الصيني اللغة العربية ودين الإسلام حتى الثقافة العربية الإسلامية وكيفية تحقيق الاندماج والانسجام بين اللغة العربية واللغة الصينية بل الثقافة العربية والثقافة الصينية. فهذا البحث يمكن تقديم الخبرات التاريخية لتعزيز التفاهم والتبادلات الثقافية بين الصين والعرب في يومنا هذا.

الأول: تاريخ اللغة العربية في الصين

متى دخلت اللغة العربية إلى الصين؟ اذا نود أن نجد جواب هذا السؤال، يجب أن نرجع إلى

بداية الاتصالات بين الصين والدول العربية، فأن اللغة هي وسيلة ضرورية للاتصالات بين مختلف الشعوب.

ذكر في ((كتاب هان– سيرة تشانغ تشيان)) أن تشانغ تشيان أوفد الرسل إلى تياوتشي (أي بلاد العرب) فيما قبل ألفي عام وكانت الصين في حكم أسرة هانغ الملكية، ويعتبر ذلك أقدم معلومات تاريخية حتى الآن عن إيفاد الصين رسلها إلى بلاد العرب. وفي عام 97 للميلاد، أوفد بان تشاو مفوض الصين العسكري في المناطق الغربية تابعه قان ينغ رسولا إلى المنطقة الخليجية في بلاد العرب. وفيما بعد، فتح طريقان بين الصين والبلاد العرب في الزمن القديم: "طريق الحرير البري" و"طريق التوابل البحري". فمن المتوقع أن الصينيين في ذلك الزمان قد تعرفوا على اللغة العربية. ولكن كانت الاتصالات بين اللغة العربية والصينية محدودة جدا وغير مباشرة بسبب أن الصين بعيدة عن بلاد العرب وهناك جبال وأبحار بينهما، كما بسبب أن العربية ما كانت موحدة في تلك المرحلة ولها لهجات كثيرة.

وبدأ دين الإسلام ينتشر في الصين منذ منتصف القرن السابع. وفيما بعد أصبحت الاتصالات بين الصين وبلاد العرب أكثر فأكثر، وأصبحت التواصلات الثقافية بين الصين والعرب أكثر وثيقة، الأمر الذي يجعل العربية والصينية تتلامس بعضهما بالبعض في نطاق واسع. وقد شهدت اللغة العربية تطورات كبيرة خلال أكثر من 1300 سنة وممكن فصل عملية تطورها إلى ثلاث مراحل.

1. دخول دين الإسلام إلى الصين

أرسل الخليفة عثمان بن عفان مبعوثا عربيا إلى عاصمة الصين القديمة تشانغ آن وقابله الملك الصيني للأسرة تانغ الملكية عام 651. يعتبر تلك المقابلة بداية دخول الإسلام إلى الصين. ومن تلك البداية، بدأ ينتشر دين الإسلام في الصين وشهد ثلاث مراحل تاريخية مهمة: المرحلة الأولى من أسرة تانغ الملكية إلى أسرة سونغ الملكية حيث جاء التجار المسلمون العرب والفرس إلى المناطق الساحلية في شرقي الصين عن الطريق البحري ليقوموا بأعمال تجارية، وجاء دين الإسلام

معهم إلى الصين. وكان التجار العرب يبيعون التوابل والعاج ودرات والخ في مدينة تشانغ آن ويانغتشون وتشونتشو وهانغتشو، وكان عددهم مائة وبضعة آلاف.

وفي عهد أسرة يوان الملكية بدأ جنكيز خان الفتحة الغربية عام 1219. وفتح المونغوليون مناطق آسيا الأوسطى حتى بغداد الذي كان مركز الثقافة الإسلامية، حيث جاء كثير من العرب والفرس في آسيا الأوسطى مع الجيش المونغولي إلى الصين، منهم العسكريون والحرفيون والنساء والأطفال، كما منهم العلماء والطبقات العليا الاجتماعية والتجار. وكانت الحكومة الرسمية تسميهم "هوي هوي"، وبسبب أن عددهم كبير جدا، قيل في ((كتاب تاريخ أسرة منيغ الملكية · سيرة سمرقند)) " ينتشر هوي هوي في كل أنحاء الصين في عهد أسرة يوان الملكية". وبعد أن جاؤوا إلى الصين، كانوا يقيمون في مختلف المناطق الصينية يزرعون ويعيشون مع المواطنين المحليين منهم قومية هان وقومية مونغوليا وقومية ويغور والخ ويتزوجون معهم. فبدأ بعض هوي هوي يجيدون اللغة العربية أو الفارسية واللغة الصينية كليهما بعد أن تعاملوا مع الصينيين في نطاق واسع، مما بدأت الثقافة العربية التي كانت متقدمة جدا في ذلك الزمان تؤثر على الصين عن طريق هؤلاء العلماء.

واللغة العربية في هذه المرحلة ما زالت تستخدم في ملايين العرب المهاجرين وبعض خلفاء الفرس والترك، وكانت العربية تدرَّس عن طريق التربية المنزلية وبواسطة الاستنساخ اليدوي والرواية الشفوية. يعلّم هؤلاء الأسلاف العرب أولادهم والمسلمين الذين بدؤوا يعتنقون دين الإسلام ألفاظ العربية وكيفية قراءة العربية، لتأمين حاجاتهم إلى قراءة القرآن الكريم واتصالاتهم مع كل المسلمين.

2. تكوين قومية هوي وإنشاء نظام التعليم المسجدي

2.1 تكوين قومية هوي

بدأ المسلمون العرب وغير العرب يستوطنون الصين ويتكاثرون فيها منذ عهد أسرة تانغ الملكية، ثم انتشروا في مختلف أنحائها. وأقاموا اقتصادهم على الزراعة، بينما بقي بعضهم يمارسون التجارة والصناعة اليدوية. والتجارب التي عاشوها والعقيدة المشتركة التي اعتنقوها طوال الفترات

التاريخية وضعت أساسا لعقليتهم المشتركة، حتى تهيأ لهم المناخ في عهد أسرة يوان لتكوين قومية هوي؛ فأصبحت هذه القومية فعلا عضوا في أسرة الأمة الصينية وبدأت تخطو على طريق النشؤء والتكوين.

ومع الازدياد الحاد في عدد المسلمين واستيطانهم في مختلف الأماكن أنشأت حكومة مينغ " مركز (Hadi) أبناء هوي للإشراف على الشؤون الدينية" ليكون مسؤولا عن القضاء. أما (Hadi) فهي اللفظة المقابلة لكلمة "قاضي" في اللغة العربية. وبالإضافة إلى ذلك، كان في الحكومة المركزية والحكومات المحلية أجهزة خاصة وموظفون متفرغون للعناية بشؤون المسلمين مثل "ديوان شؤون المسلمين" و"إدارة شؤون المسلمين" و"دار محفوظات المسلمين" و"مفوض فيلق المسلمين من القوات البحرية المنفولية" والخ.

كما أنشئت مساجد وجوامع في مختلف الأماكن بما في ذلك المدن الواقعة في أطراف البلاد نتيجة لهذا الازدياد الحاد في عدد المسلمين. قال ابن بطوطة "في كل مدينة من مدن الصين حي خاص للمسلمين ينفردون فيه بسكناهم، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعة وسواها"[1]. ويقول "في بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين، ولهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق. ولهم قاض وشيخ. ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام، تكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه، والقاضي يقضي بينهم"[2].

إن قومية هوي باعتبارها جزءا من الأمة الصينية قد تم تكوينها في عهد أسرة مينغ الملكية، وكانت شنشي وقانسو ونيغشيا ويوننان أهم ديارها. كما كان أبناؤها يعيشون موزعين على امتداد شاطئ القناة الكبرى التي تمتد بين هانغتشو وتونغتشو، وفي بكين ونانجينغ وكانتون وغيرها من المدن، وفي تشجيانغ وهونان وقوانغشي وقوانغدونغ وسيتشوان وغيرها من المقاطعات. وكوّنوا لهم مشاعر قومية مشتركة، وشاركوا بني هان في اللغة حديثا وكتابة. فأصبحت اللغة الصينية تستخدم

[1] ((رحلة ابن بطوطة))، ص 247-248.
[2] نفس المصادر السابق، ص 254.

كالغة المشتركة في قومية هوي، ولكن ظلت اللغة العربية اللغة الدينية بينهم.

2.2 إنشاء نظام التعليم المسجدي

مع تحسن اقتصاد مختلف القوميات التي تعتنق الإسلام وازدياد عدد نفوسها ظهر التعليم المسجدي في الصين في أواخر عهد أسرة مينغ الملكية. وكان الذي يدعو إلى هذا التعليم هو العالم الإسلامي المشهور في الصين خو دينغتشو(1522–1592) الذي ينحدر من وينان في مقاطعة شنشي. فلما رجع من الحج، عقد عزمه على إنشاء التعليم الإسلامي لإعداد الأئمة، وأشرف بنفسه على قبول الطلبة في المسجد وتعليم القرآن الكريم. فيعتبر هو دينغتشو مؤسس التعليم المسجدي في الصين. وكان المسلمون يمولون المسجد الذي في حيهم، ويقيمون مراسم التخرج كلما أنهت دفعة من الطلبة دراستها. وشهد هذا التعليم المسجدي تطورا تدريجيا حتى نشأ منه نظام التعليم الإسلامي المستقل بذاته، والذي يستخدم مواد دراسية تتسع تدريجيا وتشمل علم التوحيد وعلم الفقه والمبادئ الأخلاقية واللغة العربية إلى جانب القرآن الكريم والحديث النبوي وما يختص بهما من التفاسير. وانتشرت هذه طريقة التعليم من مقاطعة شانشي إلى كل المناطق المأهولة بالمسلمين. واستفاد التعليم المسجدي الصيني من الوسائل والخبرات للتعليم المسجدي العربي، بينما شكل الخصائص الصينية، أي نشأت المدارس داخل المساجد على حساب المسلمين المحليين، ونشأ قسمان للتعليم: قسم المدرسة الابتدائية وقسم المعاهد. فالأطفال يدرسون في المدرسة الابتدائية اللغة العربية الأساسية حتى يستطيعوا قراءة القرآن الكريم؛ أما في المعاهد يدرس مادتان عادة أي مادة اللغة العربية ومادة اللغة الفارسية، وتهدف المواد إلى تدريس الكتب المقدسة بالعربية أو الفارسية.

وقد خرج التعليم المسجدي آلاف مؤلفة من الأئمة، وربى الكثير من مشاهير علماء الإسلام مثل وانغ داي يوي(1570–1660) وما تشو(1640–1711) ولي تشي(1660–1730) والخ. وكانوا يكتبون الكتب الإسلامية بالصينية بينما يترجمون الكتب المقدسة الإسلامية العربية والفارسية إلى الصينية. فقد ظهرت كثير من الكتب الإسلامية في الصين الأمر الذي دفع تطور الإسلام في الصين، كما أشار إلى أن قومية هوي قد أصبحوا يستخدمون اللغة الصينية في حياتهم الدينية.

مجمل القول أن التعليم المسجدي قد لعب دورا لا يستهان به في الانتشار والتطور للإسلام والعربية في الصين.

3. من حركة "الرابع من مايو" وما بعد تأسس جمهورية الصين الشعبية

تأثر المسلمون الصينيون بحركة "الرابع من مايو" أي حركة الثقافة الجديدة من ناحية، ومن ناحية أخرى تأثروا بحركة تحسين الإسلام العربي، فأصلحوا نظام التعليم المسجدي التقليدي وأنشؤوا عددا من المدارس الحديثة التي ترمي إلى تربية أئمة وأساتذة ومترجمين يجيدون اللغة العربية والصينية كلتيهما. ولم تُدرّس في هذه المدارس اللغة العربية والإسلام فحسب، بل تدرس فيها المعارف الثقافية العادية أيضا. وفي الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين أرسلت هذه المدارس أكثر من 50 طالبا إلى جامعة أزهر بمصر مرات عديدة، الأمر الذي يربي عددا من المثقفين الكبار الحدّاث، مثل الدكتور السيد ما جيان من جامعة بكين، والدكتور السيد نا تشونغ من جامعة الدراسات الدولية ببكين والخ. إنهم المؤسسون والرواد لاختصاص اللغة العربية في الصين، فقد لعبوا دورا كبيرا في انتشار الثقافة العربية الإسلامية وتطوير قضايا تربية العربية في الصين وتعزيز التبادلات الثقافية بين الصين والدول العربية.

وبدأت اللغة العربية تدخل منهج تعليم اللغات الأجنبية لمؤسسات التعليم العالي في الصين منذ الأربعينات، مثل الجامعة المركزية السابقة بنانكين التي قررت مادة العربية عام 1943 وجامعة بكين التي قررت مادة العربية عام 1946. ولكن كان تعليم العربية لا يجري بشكل جيد بسبب أن الحكومة القديمة في تلك المرحلة ما اهتمت بتنمية العلاقة بين الصين والبلدان العربية.

وبعد أن تأسست جمهورية الصين الشعبية الجديدة عام 1949، بدأت الحكومة الصينية تهتم بشأن تعليم العربية جدا وظلت تسعى إلى تنميته من أجل تعزيز العلاقات التعاونية الودية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة الخ بين الصين والبلدان العربية. وأرسلت الصين أول فريق من الطلاب المبعوثين إلى مصر عام 1955، واستقبلهم رئيس مجلس الدولة تشو ان لاى وشجعهم على دراسة العربية بجد واجتهاد، وأمر إنشاء اختصاص العربية في بعض الجامعات. منذئذ أرسلت

الصين عددا منظورا من الطلبة المبعوثين إلى مصر والعراق وسوريا والأردن والسودان والكويت واليمن وليبيا والجزائر والخ. وكانت تسع الجامعات قد أنشأت اختصاص العربية منها جامعة بكين وجامعة الدراسات الدولية ببكين والمعهد الإسلامي ببكين والجامعة الشمالية الغربية والخ. وحتى الآن قد أنشأت أكثر من 30 الجامعات والمعاهد اختصاص العربية، وقد تخرج منها آلاف طالب منها طلاب البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. ولم يشتغل الأساتذة الصينيون بأعمال التدريس فقط، بل يبذلون جهودهم في البحوث العلمية الكثيرة مثل دراسة اللغة العربية والآداب والتاريخ والثقافة والفنون والدين والخ أيضا. ويعملون هؤلاء المخرجون في الأعمال الدبلوماسية والأنباء والإعلان والتجارة والتعليم والبحوث العلمية وغيرها من المجالات الأخرى، يشتغلون بالشؤون المتعلقة بالعربية.

وبدأ ترجم القرآن الكريم إلى الصينية منذ الثلاثينات، وأصبحت له كثير من النسخات المترجمة، منها ((تفسير القرآن الكريم)) من السيد جينغ تشاي (1946) و((القرآن الكريم)) المترجم على يد السيد ما جيان(1981).

بعد تأسس الجمهورية الصين الشعبية، وخاصة منذ نهاية السبعينات، شهدت قضية تعليم العربية في الصين تطورا كبيرا، وقد أصدرت كثيرا من كتب تدريس العربية والمراجع. كما شهدت أعمال ترجمة ودراسة الآداب والثقافة العربية تقدما كبيرا، حيث أصدرت مئات الكتب المترجمة والكتب الهامة التي كتبها العلماء الصينيون عن السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والآداب والشعر والتاريخ والجغرافية والتقاليد والعقيدة في الدول العربية والخ. وفي نفس الوقت، يشتغل موظفو العربية في الصين بتقديم الصين إلى الشعب العربي. فمنذ الخمسينات، بدأت إذاعة بكين الدولية البرامج العربية تجاه الخارج، وبدأت وكالة شينخوا ترسل أخبارا برقية إلى الدول العربية كل يوم، والمؤسسات مثل دار اللغات الأجنبية ببكين نظمت أنشطة ترجمة الكتب الصينية إلى العربية حيث أصدرت كثير من الكتب عن السياسة والاقتصاد والثقافة والتاريخ والآداب والفنون للصين وغيرها من المجالات الأخرى. وكل هذه الأعمال قد ساهمت في تعزيز التبادلات الثقافية بين الصين

والدول العربية وتعزيز الصداقة بين الشعب الصيني والشعب العربي وتعرف بعضهما على البعض مساهمة كبيرة.

وجدير بالذكر أن قضية تعليم العربية في الصين قد لقيت تقديرا وتأييدا واسعا من يونسكو جامعة الدول العربية والدول المعنوية.

بدأ تعليم العربية في الصين يخطو مرحلة جديدة. لم تكن العربية اللغة الدينية للمسلمين الصينيين فقد، بل أصبحت وسيلة مهمة جدا لتعزيز التبادلات الودية بين الشعب الصيني والشعب العربي. وطرح الرئيس الصيني شي جين بينغ مبادرة "حزام واحد وطريق واحد" التي ستساعد على تعزيز التبادلات التجارية والسياسية والثقافية وغيرها من المجالات الأخرى بين الصين والبلدان العربية. وفي ظل تلك المبادرة، سيتقدم التعليم والدراسة في اللغة العربية وآدابها وثقافاتها والخ تقدما أكبر.

الثاني: تأثيرات اللغة العربية في اللغة الصينية

اللغة الصينية لغة لقومية هان، كما أنها اللغة الفصحة في الصين. وممكن أن نجد آثارا كثيرة تركتها عليها اللغة العربية وثقافاتها. وفي القرون الأسطى كانت الثقافة العربية تؤثر على الثقافة الصينية في مجالات علمية وتقنية.

1. الكلمات الطبية

قد انتقلت أنواع كثيرة من العقاقير العربين من آسيا الأوسطى، وكتب الشعر الصيني في نهاية أسرة تانغ لي شون في كتابه ((العقاقير الأجنبية)) أسماء كثيرة عربية غير معروفة بين الجمهور، مثل كلمة "مو ياو" نقلت حرفيا من المر، و"هو لو با" من حلبة، و"هي لي لي" من الهليج". وبالإضافة، كلمة "سوان" نقلت من الكلمة العربية الثوم.

2. المصطلحات الإسلامية

تماشيا مع انتشار الإسلام في الصين، دخلت عدد من المصطلحات الإسلامية إلى الصينية. واحتفظت هذه المصطلحات بالنطق العربي، مثل "يي سي لان" إسلام، و"سو دان" سلطان، و"ها

لي فا" خليفة، و"يي ما مو" إمام، و"آن لا" الله، و"ها جي" حاج، و"قو لان جينغ" القرآن، و"شي خي" شيخ، و"مو سي لين" مسلم، و"قو آر بانغ جي" عيد القربان وغيرها من المصطلحات الإسلامية.

3. أسماء الأسرة

وتمثل آثار العربية على الصينية في الأسماء. مثلا، أسماء الأسرة "ها، هاي، لا، نا، يا، يي، توو، وو، ماي، باي، قاي، مو وغيرها من الأسماء الخاصة للمواطنين الصينيين، كانت أسماء الأسرة لقومية هوي فعليا. مثلا، اسم "سا" من خلفاء "سا دو لا" في عهد أسرة يوان، و"سا دو لا" نقلت من الكلمتين العربية "سعد" و"الله". واسم "ما" لقومية هوي هو مختصر من الشيخ محمود، وبسبب أن الصينية تضع الشيخ بعد الاسم فتحولت "الشيخ محمود" إلى "محمود الشيخ" في الصينية، وثم أصبحت "ما" اسم الأسرة لقومية هوي.

4. الحروف العربية

ممكن أن نقول إن العربية أثرت على لغة المسلمين الصينيين أشد من القوميات الأخرى نسبيا. يتكون المسلمون الصينيون من عشر قوميات منها قومية هوي وويغور والقازاق والطاجيكية الخ، وعدد قومية هوي وويغور أكثر. وكانت لغات هذه القوميات تنتمي إلى التركية. وبعد اعتقدوا الإسلام، تأثرت لغاتهم تأثرا كبيرا بالحضارة العربية الإسلامية، حيث أخذت من العربية كمية كبيرة من المصطلحات الإسلامية في شؤون دينية وحياة يومية. واستخدمت قومية ويغور والقازاق والأوزبكية والتتارى الحروف العربية لكتابة لغاتهم.

وكما ذكر أعلاه، أن قومية هوي قومية جديدة تكونت من العرب والفرس والمسلمون في آسيا الأوسطى المهاجرين (كلهم يسموا هوي هوي) الذين عاشوا وتزوجوا مع قومية هان لمدة طويلة. وبسبب أن هوي هوي اندمجوا في قومية هان واتصلوا معهم اتصالا وثيقا، فقد تستخدم اللغتان (الصينية والعربية) بينهم. كان هوي هوي يستخدمون اللغة الأم في مجموههم، أي العربية أو الفارسية، ولكن بدأوا يستخدمون الصينية عندما اتصلوا بقومية هان. ومن المتوقع أن مجموع هوي هوي لم يجيدوا الصينية بشكل جيد في البداية، فكانوا يستخدمون اللغة المخلوطة من العربية

والصينية التي لم تتخلص من نطق اللغة الأم ولم تشكل قواعد صحيحة. مثلا، قالوا " 18000 مخلوق" بنطق " شي با تشيان يانغ (ثمانية عشر آلاف)" "ما هاي لو قي" (مخلوق). ولكن مع مرور الزمان، أصبح مجمع هوي هوي يستخدمون أقل من كلمات اللغة الأم وأكثر من كلمات الصينية يوما بعد يوم، وثم أصبحوا يفكرون ويتصلون مع الآخرين باللغة الصينية.

وفي عملية اندماج اللغتين لا بد أن تؤثر اللغة على الأخرى. فقد بقيت في لغة قومية هوي آثار العربية والفارسية. عادة يستخدم قومية هوي العربية عن طريق النقل الحرفي والنقل المعني. مثلا، في حين التحية يقول "السلام عليكم"، وتخصر هذه الجملة إلى "سلام" في الكتابة. وكلمة موت ترجمت إلى "ما تي" كما ترجمت إلى "سي وانغ(نقل معني)" أيضا. لذا يستخدم قومية هوي النقل الحرفي والمعني كليهما.

5. قراءة القرآن الكريم

من المعروف أن كثيرا من المسلمين الصينيين يتعلمون اللغة العربية منذ نعومة أظفارهم، ويقرأون القرآن الكريم باللغة العربية. وفي بداية انتشار القرآن الكريم كان ينقل شفويا في منازل المسلمين، وثم بدأ يعلمه الأستاذ الطلبة في المساجد. وكانت لغة التعليم مخلوطة من الصينية والعربية والفارسية، ويستمعون الطلبة إليها ويسجلونها بخط يسمى "شياو آر جين" (شاو جينغ). "شياو آر جين" هي خط تستخدم الحروف العربية والفارسية لنطق وكتابة الصينية، وأصبحت لغة تعليم القرآن الكريم و"شياو آر جين" لغة خاصة وخط خاص بين معلم القرآن الكريم والمسلمين والذين يتكلمون العربية والفارسية لكن لا يعرف الصينية ويستخدمونها في الرسائل والتدوين. ولا شك أن "شياو آر جين" حروف أبجدية مبكرة تستخدم الحروف العربية والفارسية لنطق وكتابة الصينية في تاريخ الحروف الصينية، وأنها منتج اندماج الثقافة العربية الصينية، كما أنها مساهمة قومية هوي في الحروف الأبجدية الصينية.

الثالث: تأثيرات الثقافة العربية على الثقافة الصينية

كما ذكر أعلاه أن اللغة هي وسيلة ضرورية للاتصالات بين مختلف الشعوب، فاندماج

اللغتين لا بد من اندماج الثقافتين. لقد نشأت علاقات حضارية وثيقة بين الصين والدول العربية خلال الاتصالات الودية بينهما في العصور التاريخية الطويلة، فتطورت حضارة كل من الجانبين عبر الاستفادة المتبادلة. وقد تركت هذه التبادلات الحضارية تأثيرا بعيد المدى في المجال الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

فلنلق نظرة قصيرة على تأثيرات الثقافة العربية على الثقافة الصينية.

1. علم الفلك والرياضيات

قدم كثير من علماء الفلك المسلمين إلى الصين في عهد أسرة يوان ويحملون معهم بعض الأجهزة والمراجع الفلكية العربية، وفي الوقت نفسه اتجه عدد من الفلكيين الصينيين إلى دولة المغول الإلخانية[3].، حيث قدموا إلى الفلكيين فيها طريقة حساب التقاويم وطريقة "قيان–تشي" (طريقة لحساب التواريخ) وبعض المصادر الصينية في مجال التقويم الفلكي. غير أن تلك الكتب المنقولة إلى الصين قد فقدت، فلا يبقى إلا بعض عناوينها من ((سجل ديوان وثائق يوان)) من تأليف وانغ شي ديان وشانغ تشي ونغ في عهد أسرة يوان، مثل ((الزيجات– مختلف التقاويم)) 48 جزءا و((صناعة الآلات الفلكية)) 8 أجزاء.

2. الطب والصيدلة

قد نقلت كثير من العقاقير الطبية العربية إلى الصين واستخدمت في أوساط الطب والصيدلية في الصين على نطاق واسع منها اللبان ودم الأخوين والصبار والمر والميعة والحلبة واللؤلؤ والمر والحلبة الخ. وظلت الأبخرة العربية تحتل مكانة هامة بين العقاقير الطبية الصينية. وقد ورد الكثير من الأدوية أو العقاقير العربية في كتاب ((وصفات هوي هوي)) الذي تم تأليفه في عهد مينغ، والنسخة المخطوطة الناقصة من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في مكتبة بكين إلى الآن. وقد ذكر لي شي تشنغ ممثل الطب التقليدي الصيني في عهد مينغ كثيرا من الأدوية العربية وطرق المداولة العربية في عمله ((الخلاصة الوافية من العقاقير الشافية)). فورد فيه مثلا أن زيت الميعة من إنتاج

[3] جورج سارتون: ((مدخل تاريخ العلوم))، ج 2، ص 1005.

دولة داشي، ورائحته مماثلة لنبات يسمى (Dunuxiang).

3. الفنون

تركت الفنون العربية أثرا في الأقليات الصينية الإسلامية بدرجات متفاوتة في مجالات العمارة والموسيقى والرسم والزي. وتمثل آثار العمارة والرسم في مباني المساجد والجوامع بصورة رئيسية، فمسجد هوايشنغ في كانتون ومسجد شنغيو في مدينة الزيتون ومسجد فنغهوانغ بهانغتشو ومسجد نيوجيه في بكين التي تعتبر أربع المساجد الكبرى في الصين تتميز بالأسلوب المعماري العربي. وتؤثر الموسيقى العربية على موسيقى قومية ويغور. ونقلت "المقامة" إلى الصين وظل الويغوريون يحتفظون في مقاماتهم بمجموعات الألحان الثلاث الرقة والعشاق والعذال التي أبدعها الفيلسوف والموسيقار العربي الفارابي التركي الأصل (870–950). وبالإضافة، أدخلت المقامات للويفوريين بعض المصطلحات الموسيقية العربية والألفاظ والتعابير العربية.

الختام

ما زالت كثير من الآثار العربية في الثقافة الصينية التي لا نستطيع أن ننتهي من كتابتها في هذا البحث. فهذا البحث يتركز على اللغة، وممكن أن نجد مما أعلاه أن اللغة هي وسيلة ضرورية لانتشار الثقافة، كما أن التبادلات الثقافية تساعد على اندماج اللغة في الأخرى.

فاذا نود أن نساهم في تعزيز العلاقات الودية بين الصين والبلدان العربية لا بد أن نهتم بتعليم العربية وتربية أكفاء العربية من أجل تعزيز التبادلات الثقافية والعاطفية بين الشعب الصيني والشعب العربي.

المراجع:

1. تأليف قوو ييِنغ ده وترجمة تشانغ جيا مين: تاريخ العلاقات الصينية العربية، النسخة المصورة.
2. يي تشي: اللغة العربية في الصين، من مجلة ((العالم العربي))، العدد 1 و2 عام 1991.
3. فان يه: كتاب هان الأخيرة – سجل المناطق الغربية، بكين: دار الصين، 1980.
4. أحمد أمين: ضحى الإسلام، النسخة المصورة.

5. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة : المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

الجزء الأول، بيروت: المطتبة العصرية، 2007.